صدمات الذاكرة المسموعة في الشعر العباسي رثاء الإمام الحسين اختيارا

*الباحثة: م. م وسام محمد عبود أ. د. ثائر عبد المجيد العذاري

جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الانسانية / قسم اللغة العربية

Email: wisamrubaiee@Gmail.com

Mob: 07723869959

تاريخ الاستلام : 2021-11-05

تاريخ القبول : 2021-12-19

ملخص البحث:

مراء في أنَّ الكثير مما نستمع له من الحكايات الصادمة والوقائع المشجية؛ تبقى عالقة في أذهاننا نجترها بين الحين والحين، فيكدر أليم ما نستذكره صفو حياتنا؛ نظراً إلى استحضارنا الأحداث الرئيسة في خيالنا، وشعورنا بأحاسيس قد لا نقتدر على وصف بعضها، مساوقة _ إلى حد ما_ لما قاسيناه إبان سماعنا في الوهلة الأولى أخباراً أو قصصاً أصبنا جرَّاءها بصدمات مُمِضَّات، أسالت مياه الوجوم والكأبة فيما صَوَّحَ مِنْ أنهارِ أحزاننا؛ ويجمل بنا أنَّ نقول: إنَّ واقعة الطف شغلت ألباب شعراء الشيعة والمحبين في مختلف الأزمنة والعصور؛ نتيجةً لفظاعة ما حلَّ بآل رسول الله مِنْ تقتيل وسبي واهتضام حقوق ابن بنت نبيٍّ أُزهِقت أرواح أصحابه وأخوته أمام عينه، فتعاور الشعراء تفصيل القول فيها، والإعراب عما راعهم مِنْ أحاسيس صادمة جرَّاءَ سماعهم قصص الواقعة المؤرقة أو استذكارها فيما بعد.

الكلمات المفتاحية: صدمات، الذاكرة المسموعة، شعر، القرن الثالث، القرن الرابع، الأدب العباسي.

The Audible Memory Shocks in Abbasid Poetry that Lament Imam Al-Hussein by choic

*Assi. Teacher wisam muhammad aboud
Al Kut University

Prof. Dr. Thaer Abdul Majeed Al-Ethary
Wasit University/ College of Education

Receipt date: 2021-11-05
Date of acceptance: 2021-12-19

Abstract

There is no doubt that a lot of the shocking tales and discouraging facts we hear remain stuck in our minds and we regurgitate them from time to time. They add a touch of sadness to what we remember of our lives since we recall the main events in our imaginations and experience feelings, some of which we may not be able to describe, that somewhat match what we experienced when we first heard the news or stories that shocked us. To sum up, let us say that the incident of Al-Tuff has occupied the hearts of Shiite poets and lovers in different eras due to the horror that befell the family of the Messenger of God, that is, killing, captivity, and infringement on the rights of the son of a prophet's daughter. The lives of his companions and brothers were taken before his eyes.

Keywords: trauma, audible memory, poetry, third century, fourth century, Abbasid literature.

المقدمة:

مما يحسن التنبيه إليه أَنَّ الحياة البشرية لا تستقر على حالٍ ثابتة دائمة، سواء أدَعَة وخَفض عيش كانت أم حزن وانكسار؛ تبعاً لصروف الدهر وتقلباتها وحوادث الأيام التي تُحيل إنعام مَنْ أناخت بساحته إلى بؤس وتنكيد؛ "فالحادث الصدمي موقف غير عادي عنيف، وظرف شاذ لم يعتد عليه الإنسان، يتسم بالقوة والشدة وإمكانية تهديد حياة الإنسان أو ذويه وممتلكاته، ويعمل هذا الحادث الصدمي عمل المنبه الضاغط، ويترتب عليه تأثيرات سلبية"(عبد الخالق، ٢٠٠٦، ٩٥)، لا يُحْمَدُ عُقباها؛ مما يجعله يمتاح من ماء الحزن المُرنَّق بدلاً مِنْ منهل السعادة النَّمير الذي لطالما نهل منه قبل أنْ تلم به الصدمات، وعلى هذا يُصبح للأحداث الصدمية المُفرطة الألم والتأثير، فعل كبير في إحداث صدع بين ماضي الإنسان وحاضره من الصعوبة بمكان أنْ يُرأب؛ بمعنى أَنَّ الصدمة النفسية " حدث يهاجم الإنسان ويخترق الجهاز الدفاعي لديه مع إمكان تمزيق حياة الفرد بشدة وقد ينتج عن هذا تغيرات في الشخصية أو مرض عضوي، إذا لم يتم التحكم فيه والتعامل معه بسرعة وفاعلية، وتؤدي الصدمة إلى نشأة الخوف العميق والعجز والرعب"(حامد، ٢٠١٦، ١١)، ويترتب على ذلك عدة تبعات تزلزل النفس الإنسانية وتهز كيان المرء مخلفة فيه اضطراباً كاضطراب الرشاء، ولا يخفى على الحصيف ما تسببه الأحداث الصدمية من أتراحٍ وآلام ينوء المرء تحت وطأتها، فما بالك بالشاعر الذي يُخامِره الحزن إنْ شاهد وردةً ذبلت أو شارفت على الذبول، أو رأى تساقط الأوراق في الخريف فتساقطت معها لآلئ دموعه، كيفَ به إنْ فُجِعَ بحبيب أو بأحد أفراد أسرته ؟، ألَا يحدو به هذا الأمر إلى معاقرة الحزن مصاحبة الألم والتعبير عما ألم به من خطب فادح بكل ما تسعفه به إمكاناته الشعرية ؟!.

ولعل من البديهي أنْ نقول: إنّ الأحداث التي تطرب إليها النفوس سواء أمُبهجة ومُجذلة كانت أم مُضنية ومُشجية؛ ستبقى عالقة في أذهاننا نجترها بين الحين والحين، فتُحبرنا الذكريات السعيدة _ في الأغلب_، ويكدر أليم ما نستذكره صفو حياتنا؛ نظراً إلى استحضارنا الأحداث الرئيسة في خيالنا، وشعورنا بأحاسيس قد لا نقتدر على وصف بعضها، مساوقة _ إلى حد ما_ لما قاسيناه إبان سماعنا في الوهلة الأولى، أخباراً أو قصصاً أصبنا جرَّاءها بصدمات مُمِضَّات، أسالت مياه الوجوم والكآبة فيما صَوَّحَ مِنْ أنهارِ أحزاننا.

ولا مِراء في أنَّ "السلطة التاريخية للصدمة لا تتمثَّل فقط في تكرار المعاناة بعد نسيانها؛ لكنَّها تكمن فقط في ومن خلال النسيان الفطري لها، مما يوحي بأنَّه قد تمت مواجهتها لأول مرة على

الإطلاق"،(Caruth,1995,8) فضلاً عن أنَّ تركيز ذاكرتنا واحتفاظها بما يثير الجوى في أنفسنا، ويُذكي أوار ما اكتن في صدورنا من شديد الوجد؛ سوف يفضي بنا _ أحياناً_ إلى كروب يبذ أذاها ما ملأ مسامعنا مِنْ أخبار صادمة، قذفت في قلوبنا الهموم، مثلما يفوق طعن الكليم على جراحه قبل اندمالها إيجاع ما أصاب جسده من كلوم لم يطأ جسمه قروحٌ قبلها.

صدمات الذاكرة المسموعة

ومن الجدير بالذكر أنَّ الشعراء وغيرهم عادة ما يستمعون في ميعة صباهم للَّذِي يرويه آباؤهم ومشايخهم، مما يدعو إلى الفرح أو الترح؛ فتؤدي هذه الأخبار والسير فعلاً مؤثراً في تكوين شخصية مَنْ أنصت إليها، ومِنْ ثَمَّ تأخذ يدُ الأيامِ بضَبْعه إلى استذكار ما فاهت بهِ السنتُهم، حينما يعيد تاريخها نفسه، أو يحدث ما يعزز تبادر ذكرها إلى الأذهان؛ إذ "إنَّ السوابق التاريخية للصدمة، في تأخرها الفطري، لا يمكن أنْ تتجسد على أرض الواقع، إلَّا من خلال الاستماع لشخص آخر"،(Caruth,1995,11) أو مجالسة كتاب يُسلمنا ما بين دفتيه إلى استرجاع وإحياء كل الذي قض مضجعنا من مشاعر صدمية في سالف الزمن، أو بوساطة ما علق في ذاكرة مَنْ شهد الوقيعة وقص ما أبصرته عينُهُ على الشاعر، أو مَنْ التقى به فرواه إليه، ومِنْ ثَمَّ ظل يدور في خَلَد شاعرنا وتضطرم به نفسه؛ حتى حاكَ شعراً يسرد لنا ما حدث بأسلوب يفوق _ في الغالب_ تأثير حكاياتٍ تُطلعنا على الذي شاهده الراوي مِنْ كثب.

شغلت واقعة الطف ألباب الشعراء وقرّحت أجفانهم؛ نتيجةً لفظاعة ما حلَّ بآل رسول الله (ص) (ت ١١ هـ) مِنْ تقتيل وسبي واهتضام حقوق ابن بنت نبيٍّ أُزهِقت أرواح أصحابه وأخوته أمام عينه، ومِنْ ثم تكالب أعداؤه عليه واحتزوا رأسه حينما غدا وحيداً بلا ناصر ومؤازر، (الأصفهاني، (د.ت)، ٨٤_ ١٢٠) ضاربين صفحاً عن تحدره مِنْ أسرة عريقة ومحتد مؤثل، وجهر النبي الأكرم (ص) بحبه وحب محبينه على مرأى ومسمع الناس،(ابن ماجه، (د.ت)، ١/ ٥١) وتبعاً لذلك سار ذكر استشهاد الإمام الحسين (ت ٦١هـ) وأنصاره كُلَّ مسير وفشا على الألسِنَةِ، فأصبحت هذه النكبة المروعة قصة خالدة، يرسم الآباء _ ممن أحبوا حسيناً وعترته_ لوحةَ أحداثِهَا في خيال أبنائهم، ولِذا تعاورت الأجيال سردها وتدوينها وتفصيل القول فيها تباعاً، فأكثر الشعراء في كل الأصقاع والبقاع

مـن سـرد أحـداثها، وإظهـار تفجعهـم وشـجوهم، علـى غـرار رثـاء ديـك الجـن الحمصـي (ت : ٢٣٦ هـ) للحسين (ع)، فاستمع له حين يقول: (الحجي، ٢٠٠٤م، ٢١٥_ ٢١٦) (من الكامل)

أصْـــبَحْتُ مُلْقـــىً فِـــي الفِـــرَاشِ سَـــقِيمَا ... أَجِـــدُ النَّسِـــيمَ مِـــنَ السَّـــقَامِ سَـــمُومَا

مَـــاءٌ مِـــنَ العَبَـــرَاتِ حَـــرَّى أَرْضُـــهُ ... لَـــوْ كَـــانَ مِـــنْ مَطَـــرٍ لَكَـــانَ هَزِيمَـــا

مَـــرَّتْ بِقَلبِـــي ذِكْرَيَـــاتُ بَنِـــي الهُـــدَى ... فَنَسِـــيتُ مِنْهَـــا الـــرَّوْحَ وَالتَّهْوِيمَـــا

وَنَظَـــرْتُ سِـــبْطَ مُحَمَّـــدٍ فِـــي كَـــرْبَلَا ... فَـــرْداً يُعَـــانِي حُزْنَـــهُ المَكْظُومَـــا

تَنْحُـــو أَضَـــالِعَهُ سُـــيُوفُ أُمَيَّـــةٍ ... فَتَـــرَاهُمُ الصَّمْصُـــومَ فَالصَّمْصُـــومَا

فَالجِسْـــمُ أَضْـــحَى فِـــي الصَّـــعِيدِ مُوَزَّعـــاً ... وَالـــرَّأْسُ أَمْسَـــى فِـــي الصِّـــعَادِ كَرِيمَـــا

إنَّ ولـوج القصـص والسـير فـي مسـامعنا مِـراراً، يحـدو بنـا إلـى الرغبـة فـي الاسـتزادة والعَـبّ منهـا؛ لاسـتيفاء مـا كُتـب فيهـا _ إنْ نظرنـا إليهـا وأبطالِهَـا بعـين التبجيـل والتقـديس_، ونسـجه بصـورة تهـش إليهـا النفـوس وتسـتميل القلـوب؛ أمـلاً فـي استنصـار مَـنْ نشـد بـه أزرنـا _ فكريـاً وفلسـفياً_، وهـذا الأمـر يحثنـا علـى اسـترجاع مـا أنصـتنا لـه وقرأنـاه، ولهـذه الأسـباب تلقـي بنـا الـذكرياتُ فـي خضـم بحـرٍ مـائج مِـنَ الخيـال، يجعلنـا نـرى اشـتجار الرمـاح ونشـاهد دوران رحـى الحـرب، فنأسـى لِمـا أصـاب مَـنْ وَقَـرَتْ مهابتُـهُ فـي صـدورنا وملأهـا هيبـة وإجـلالاً، علـى شـاكلة تفجّـع ديـك الجـن واغتمامـه آنـاءَ ليلـةٍ اكـتلأت فيهـا عينـه، فبـات لا يطمـئن جنبـه إلـى مضـجع؛ حالَمَـا أثـارت سـنابكُ خيـول الـذاكرة غُبـارَ النسـيان، فأخـذت بيـده إلـى استحضـار مـا رِيـعَ بـه حبيـب رسـول الله ورهطـه، ولـيس ذلـك بغريـب؛ لأنَّ "اسـترجاع الـذكريات الصـدمية ... يحـدث فـي شـكل متتـالٍ ومتـزامن مـع مواجهـة الشـخص للمثيـرات التـي يحـتفظ بهـا الشـخص حـول الصَّـدمة، والتـي تسـتدعي الذاكرة"،(عبـد الله، ٢٠٠٣م، ١٧١) بشـجوها وغصصـها؛ ممـا يحـدو بشـاعرنا إلـى أنْ يَسْـطر مـا يمليـه عليـه قلبُـهُ بأحسـن صـنعة فنيـة وجـودة سـبك _ اقتـدر عليهمـا_؛ متخـذاً مِـنْ بـذل قصـارى جَهـده فـي صـناعة الشـعر وُصـلة إلـى اسـتنزاف طاقـة الشـجن التـي اهتصـرت جَنَانَـهُ؛ جـرَّاءَ إبصـاره وحـدة حفيـد النبـي ووحشـته، غِـبَّ استشـهاد بنيـه وإخوتـه وصـحبه، واعتصـامه برباطـة جأشـه وصـعوبة مِراسـه علـى الـرغم مِـنْ إحاقـة المصـائب

والمِحَن به وعِترته، مجابهاً المناوئين بحسامه وجسده ودمه، فأصبحت سيرته مناراً ومنهاجاً للثائرين على الظلم والاختذاء؛ إذ "لم يذكر لنا التاريخ رجلاً ألقى بنفسه وأبنائه وأحب الناس إليه في مهاوي الهلاك إحياءً لدولةٍ سُلبت منه، إلَّا الحسين، ذلك الرجل الكبير الذي عرف كيف يُزلزل ملك الأمويين الواسع ويُقلقل أركان سلطانهم"،(الزركلي، ٢٠٠٢م، ٢/ ٢٤٣) كاتباً صحيفة نصره بدمه ودماء أحبته على جبين التاريخ، متحلياً بإبائه وشممه في حياته ومماته؛ لأنَّ رأسه الذي تَوَّجُوا به الرمح، بَذَّ رؤوس أعدائه سموقاً وشموخاً.

تُعَدُّ القضية الحسينية واسطة عقد القضايا التي شغلت الفكر الشيعي الجمعي؛ إذ يرون فيها الثورة الإصلاحية التي قوَّمَت وأطدت أركان دين النبي (ص) ودعائمه؛ لأنَّها طمست اقتصار القيام بالثورة على الرجال الأشداء، أو المظلومين ومَنْ بُخِسَت حقوقهم، ومَنَحَتْ مشروعية المشاركة فيها للشيوخ والنساء والأطفال، وهذا الأمر يعمق بإحساس الشاعر _ المتشيع أو المُحِب_ الحاجة إلى الانخراط في سلك مَنْ ينصر هذه النهضة الفكرية والمبدئية بلسانه، منافحاً عن كل ما يتعلق بهذه الثورة وأبطالها، كمدافعة الرجل عن حق إخوته ونسائه وشيوخه المُهتَضَم، متأسفاً على ما نزل بهم من ملمات، كلما طرقت مصيبتهم أبواب ذاكرته، على غرار الشاعر دِعْبِل الخُزَاعِي (ت: ٢٤٦ هـ) الذي عَنَّ له ذكر ما جرى للحسين وحامَّته، فحقَّ لمثله أنْ يقول:(الأعلمي، ١٩٩٧م، ٩٤_ ٩٥) (مِنَ الكامل)

أَنَسِيتَ إِذْ صَارَتْ إِلَيْهِ كَتَائِبٌ ... فِيهَا ابنُ سَعْدٍ وَالطُّغَاةُ الجُحَّدُ

لَمْ يَحْفَظُوا حَقَّ النَبِيِّ مُحَمَّدٍ ... إِذْ جَرَّعُوهُ حَرَارَةً لَا تَبْرُدُ

قَتَلُوا الحُسَينَ وَأَثْكَلُوهُ بِسِبْطِهِ ... فَالثُّكْلُ مِنْ بَعْدِ الحُسَيْنِ مُبَدَّدُ

كَيْفَ القَرَارُ وَفِي السَّبَايَا زَيْنَبٌ ... تَدْعُو بِفَرْطِ حَرَارَةٍ يَا أَحْمَدُ

هَذَا حُسَينٌ بالسُّيُوفِ مُبَضَّعٌ ... وَمُلَطَّخٌ بِدِمَائِهِ مُسْتَشْهَدُ

عَارٍ بِلَا ثَوْبٍ صَرِيعٌ فِي الثَّرَى ... بَيْنَ الحَوَافِرِ وَالسَّنَابِكِ يُخْضَدُ

أَنَسِيتَ قَتْلَ المُصْطَفَيْنَ بِكَرْبَلَا ... حَوْلَ الحُسَيْنِ ذَبَائِحاً لَمْ يُلْحَدُوا

فَسَقَوْهُ مِنْ جُرَعِ الحُتُوفِ بِمَشْهَدٍ ... كَثُرَ العَدُوُّ بِهِ وَقَلَّ المُسْعِدُ

ثُـــمَّ اسْـــتَبَاحُوا الطَّـــاهِرَاتِ حَوَاسِـــراً ... فَالشَّـــمْلُ مِـــنْ بَعْـــدِ الحُسَـــيْنِ مُبَـــدَّدُ

ممـا يحسـن التنبيـه إليـه أنَّ الشـاعر المتشـيع عـادة مـا يشـجى لـذكر الحسـين ويُشـيد بحميـد مـآثره؛ ارتجـاءَ الظفـر بمباركـة ومسـاندة روحيـة فـي حياتـه، وفعليـة بعـد انقضـاء أجلـه، حينمـا ينـال رضـا رسـول الله (ص) وعترتـه ويحظـى بشـفاعتهم، كمـا أنَّ هنـاك مـن يُمجـد صـفات البطولـة والتحـدي والشـموس ومجابهـة الظَّلَمَـة مـن المـذاهب والـديانات الأُخَر.

ولا جَـرَمَ أنَّ فـيض روح الحسـين أفـاض عليـه مِـنْ ذيـوع الصـيت وتجـاوب المحافِـلِ بصـدى ذكـرِه، مـا لا حصـرَ لـه؛ "فالـدعاة المستشـهدون يخسـرون حيـاتهم وحيـاة ذويهـم، ولكـنَّهُم يرسـلون دعـوتهم مـن بعـدهم ناجحـة متفاقمـة؛ فتظفـر فـي نهايـة مطافهـا بكـل شـيء حتـى المظـاهر العرضـية والمنـافع الأرضـية، وأصـحاب المظـاهر العرضـية والمنـافع الأرضـية يكسـبون فـي أول الشـوط ثـم ينهزمـون فـي وجـه الـدعوة المستشـهدة حتـى يخسـروا حيـاتهم أو حيـاة ذويهـم، وتـوزن حظـوظهم بكـل ميـزان فـإذا هـم بكـل ميـزان خاسـرون"، (العقـاد، ٢٠١٣م،١١٣) وآيـة ذلـك أنَّ آمـال عمـر بـن سـعد (ت ٦٥ هـ) ومطامحـه لـم تـؤتِ أُكُلَهَـا وتفـي بغرضـه المرتجـى غِـبَّ قتلـه الحسـين ولـم يُمَتَّـع بحياتـه (يُنظـر: أبـو العـرب، ١٩٨٤م، ٢١٤_ ٢١٥) فضـلاً عـن اتسـام ذكـره بسـوء المخبَـر، واقتـران الحـديث عنـه _ فـي الأغلـب_ بـذم عظـيم جرمـه وشـنيع صَـنيعه والحـط مِـنْ شـأنه، مثلمـا فعـل الشـاعر دِعبـلُ الخزاعـي الـذي ترفَّـع عـن لفـظ اسـمه أو كتابتـه، استصـغاراً وازدراءً، شـارعا فـي رسـم صـورة للأحـداث والحـوارات تضـاهي وصـف مَـنْ شـاهدها رأي العِيـان؛ تطلعـاً إلـى بعـث الشخصـيات التـي أودت بهـا المنيـة مجـدداً _فـي مملكـة الخيـال الشـعري_؛ ليهـب واقعـة الطـف حيـاةً أخـرى وتاريخـاً متجـدداً، يُكتَـب كلّمـا قُرئـت القصـيدة أو قرعـت مسـامع أحـدهم، وكأنَّـهُ شـاهدَ شـكوى السـيدة زينـب (ت: ٦٢ هـ) لجدها؛ فتسلل إلى خافقه لهيبٌ مِنْ فؤادِها فأُضرِمَت النار في قلبه.

ولعـل مِـنَ المُفيـد هُنـا أنْ نـذكر أنَّ الاسـترجاعات هـذه "تستحضـر الصـدمة وتُحيـي الـذكريات المنسـية، ومـا كـان جوهريـاً أساسـياً متكـرراً بـدون تعـب ولا ملـل فـي أوضـاع تختلـف تمامـاً وكُليـاً عـن الإطـار الصـدمي الأساسـي ... وفـي نهايـة المطـاف لا تحـتفظ الـذات فـي نفسـها إلَّا بجـرح ينفـتح مِـنْ جديـد فـي كـل مـرة ترتسـم فيهـا وضـعية مماثلـة

جديدة تُعيد إليها الذكرى"، (حب الله، ٢٠٠٦م، ٨٣) التي أورثت شاعرنا ترحاً حدا به إلى صبِّ جام غضبه ونقمته على الطغاة الجائرين، مُجَرِّداً إياهُم مِنْ دواعي فخرهم واعتدادهم مثلما سلبوا حُسيناً جُلَّ ثيابِهِ، واستباحوا عِرضه وحرمه، ومساهماً في إيصال صوت الحُسَين إلى مَنْ لَمْ يحط به خُبراً، وحث السامعين على الاستزادة؛ أملاً في أنْ تبقى كلماته معانقة ذاكرةَ مَنْ سمع شعره فحفظه، كعناق التراب لدم الحسين.

ليس بمستغربٍ قط أنْ يتعاور الهاشميون تفصيل القول في سيرة الحسين ورهطه، فتستبق إلى أفئدة السامعين مِنْهُم نِبالُ الجوى والفجيعة؛ إذ إنَّ تحدرهم مِنْ الأسرة الزكية المغرس نفسها، يدفع بهم إلى الذب عن أبناء عمومتهم والانتصار لهم بسيوف الألفاظ ورماح المعاني _ في الأقل_، والانكفاء على تأبين سَرَاتهم وندبهم، والتماجد بشيم شهدائهم وحُسْن خِلالهم، بغض النظر عن تطلع العلويين إلى تبوؤ أرائك خلافة بني العباس، واحتدام المنافسة فيما بينهم؛ لأنَّ المُلْكَ عَقِيمٌ، تنقطع عند أعتابه وشائج القرابة والرحم، فضلاً عن أنَّ الأمير الشاعر عبد الله بن المعتز أقرب إلى الأدب والعلم ورهافة الإحساس منه إلى التسلط والبطش وقسوة القلب، ومِنْ غير العَجَب أنْ "يرثي الحُسَين بن علي بن أبي طالب صوات الله عليهما" (الصولي، ١٩٩٧م، ٣/ ٥٩) قائلاً:(م. ن، ٣/ ٥٩) (مِنَ المَدِيد)

كَمْ قَتِيلٍ لَكَ بالطَّفِّ غَالِي ... أَرْخَصَتْهُ غَفَلَاتُ العَوَالِي

غَادَرَتْهُ الحَرْبُ يَوْمَ تَوَلَّى ... مَيِّتَ النَّاصِرِ حَيَّ المَعَالِي

سَاكِنَ اللَّحْظَةِ يَسْخُو بِنَفْسٍ ... صَانَهَا السِّلْمُ لِيَوْمِ القِتَالِ

صَادِياً يَحْمِي مَوَارِدَ مَاءٍ ... مُنْتَضَى الصَّفْوَةِ عَذْبَ الزُّلَالِ

صَافَحَ الأَرْضَ بِخَدٍّ أَسِيلٍ ... طَالَمَا أَشْرَقَ عِنْدَ السُّؤَالِ

حَرُّ أَنْفَاسِي لِيَوْمِ حُسَيْنٍ ... وَإِلَيْهِ حَنَّ وَفْدُ مَقَالِي

كُنْتُ حَلَّالاً بِرَغْمِ الأَعَادِي ... وَعَلَى القِرْنِ جَرِيءَ الصِّيَالِ

وَخَلَا المِحْرَابُ مِنْ عَامِرِهِ ... وَلَقَدْ يُمْسِي بِكُمْ غَيْرَ خَالِي

لَعَلَّ مِنْ مُستَحسن القول: إنَّ عدّ المرثي مِنْ أهلنا وحامتنا متأتٍ مِنْ جليل مودته ونيله قصب السبق مِنْ تفخيمنا وتبجيلنا؛ إذ يشعرنا التفكير في إمكان بقائهم على قيد الحياة _ سواء أمعاصرين كانوا أم سابقين لنا_، بما قد يسبغه علينا من مسرات ومؤازرة روحية، وأعمال وأفعال يعليان قدرنا أو محلَّ أسرتنا، وتبعاً لذلك نعمد إلى تشييد صَرحَ اغتباطنا الذي أراد أنْ ينقض إثرَ إيداء المنية بهم؛ بوساطة تنزيه المرثي المؤبن وإبرائه مِنْ كُلِّ ما ألصق به مِنْ أقاويل مناوئيه المُفتَعَلة، وإيقاظ أتباعهم مِنْ سُبات غفلتهم العميق.

ولا غرابةَ في أنْ يرثي الأميرُ أميراً يُشاطره الأُرومة، كما ندب الأميرُ عبد الله بن المعتز الإمامَ الحسين بن الخليفة علي بن أبي طالب (ت: ٤٠ هـ) مُعرِباً عن عِظَمِ شجوه وَبَثِّه؛ جرَّاءَ استذكاره ما ألمَّ بأميرٍ كريمٍ جبل على تسامع الناس به والتفافهم حوله، ولم يألف تكالب الخصوم عليه في ساحة الوغى، وعمدهم إلى الإحالة بينه وبين كل ما يشد على عضده ويعزز صلابة عوده، وإنْ كان ماءً ضاقت به أحضان الأنهار، حتى يَمَّمَ الترابُ خدَّهُ قبل أنْ يتوضأ بماء الشهادة، "وهكذا انتهت خطة الثورة انتهاءً مؤلماً، ولكن استشهاد الحسين كان له شأنٌ معنوي كبير، وكان له تأثير عظيم عند الشيعة"،(المعموري، ٢٠١٣م، ١١٢) وغالبية الهاشميين على غرار شاعرنا الذي دقَّ يومُ الحسين أجراسَ الاغتمام في خافقه، فأخذت كلماتُهُ تعانق بعضها حزنًا وتنساب انسياب الدموع في بحر الشعر، جانحة لإشراك القرطاس والقلم في تبديد شمل الأتراح المكظومة، والاستماع إلى موسيقى الشعر بدلاً مِنَ الانتحاب والنشيج؛ إذ " إنَّكَ لا تستطيع أنْ تقتل أيّما عاطفة بأنْ تفكر فيها، بل إنّك لا تستطيع ذلك حتى بصرير الأسنان، ومحاولة طردها بالقوة إلى خارج العقل، وكل مَنْ قد حاول أنْ يفعل مثل هذا بأي مِنَ العواطف العارمة لا بُدَّ أدرك مبلغ إخفاقه في هذا السبيل ... إنَّك عاجز عن أنْ تقضي على عاطفة ما بالهجوم عليها مباشرة؛ ولكنَّك قادر على ذلك بالتلطف لها، والالتفاف عليها، تستطيع أنْ تجتثها بأنْ تقيم في وجهها عاطفة مضادة"، (وايلد، ١٩٨٧م، ٣٣) على غرار الأعمال الفنية والأدبية التي يُعَدُّ الشعر دُرَّة تاجها، ونتيجةً لذلك اتكأ ابن المعتز على صولجان الشعر مؤبناً أميراً عشقته المحاريب واعتادت الاستئناس بتسبيحه وتحميده، وعلى الرغم مِنْ ذلك لم يحد هذا الأمر مِنْ شدة بأسه عند اشتجار الرماح وحمي الوطيس، فهو عابد متبتل وفارس لا يُشَق له غبار.

إنَّ الحديث عن مآثر الأجداد وكرم شمائلهم، أمر تعاور مَنْ كان فرعاً مِنْ دوحة كريمة إيَّاه قديماً وحديثاً؛ ليشعرهم هذا بطيب أعراقهم واعتزائهم لمنبت أثيل خليق بالتفخيم والإكبار، مما يحض أحفادهم على الإصغاء إليهم بوُدهم، ليعمقون الاتصال الروحي بأسلافهم ويَعِبُونَ مِنْ أخبارهم عَبّاً؛ أملاً في استشفاف ما تضمنته والولوج في عالم مِنَ المعرفة والإلمام يصل بهم إلى الاطلاع على عالم أجدادهم وحياتهم، كما لو تعايشوا معهم في الزمان نفسه، مقتسمين وإياهم الاغتمام والإجذال، على النحو الذي توجع فيه الشريف الرضي لاستشهاد جده الحسين وأصحابه؛ فحقَّ لمثله أنْ يقول: (حلاوي، ١٩٩٩م، ١/ ٥١٧_ ٥١٦) (مِنَ البسيط)

وَرُبَّ قَائِلَـــــةٍ وَالهَـــــمُّ يُتْحِفُنِـــــي ... بِنَـــاظِرٍ مِـــنْ نِطَـــافِ الـــدَّمْعِ مَمْطُـــورِ

خَفِّـــضْ عَلَيْـــكَ فِلِلْأَحْـــزَانِ آونَـــةٌ ... وَمَـــا المُقِـــيمُ عَلَـــى حُـــزْنٍ بِمَعْـــذُورِ

فَقُلْـــتُ هَيْهَـــاتَ فَـــاتَ السَّـــمْعُ لَائِمَـــهُ ... لَا يُفْهَـــمُ الحُـــزْنُ إِلَّا يَـــوْمَ عَاشُـــورِ

يَـــوْمٌ حَـــدَا الظُّعْـــنَ فِيـــهِ لِابْـــنِ فَاطِمَـــةٍ ... سِـــنَانُ مُطَّـــرِدِ الكَعْبَـــيْنِ مَطْـــرُورِ

وَخَـــرَّ لِلْمَـــوْتِ لَا كَـــفٌّ تُقَلِّبُـــهُ ... إِلَّا بِـــوَطْءٍ مِـــنَ الجُـــرْدِ المَحَاضِـــيرِ

ظَمْـــآنَ سَـــلَّى نَجِيـــعُ الطَّعْـــنِ غُلَّتَـــهُ ... عَـــنْ بَـــارِدٍ مَـــنْ عُبَـــابِ المَـــاءِ مَقْـــرُورِ

كَـــأَنَّ بِـــيضَ المَوَاضِـــي وَهْـــيَ تَنْهَبُـــهُ ... نَـــارٌ تَحَكَّـــمُ فِـــي جِسْـــمٍ مِـــنَ النُّـــورِ

للهِ مُلْقَـــىً عَلَـــى الرَّمْضَـــاءِ عَـــضَّ بِـــهِ ... فَـــمُ الـــرَّدَى بَـــيْنَ إِقْـــدَامٍ وَتَشْـــمِيرِ

تَحْنُـــو عَلَيْـــهِ الرُّبَـــى ظِـــلّاً وَتَسْـــتُرُهُ ... عَـــنِ النَّـــوَاظِرِ أَذْيَـــالُ الأَعَاصِـــيرِ

تَهَابُـــهُ الـــوَحْشُ أَنْ تَـــدْنُو لِمَصْـــرَعِهِ ... وَقَـــدْ أَقَـــامَ ثَلَاثـــاً غَيْـــرَ مَقْبُـــورِ

فُطِرَ الناسُ على إخطار أحبتهم _ في الأغلب_ بما يجيش في صدورهم، حينما تراودهم مدلهماتُ الخطوب أو تخترم سهام الذاكرة المُمِضَّة جُنَّةَ نسيانهم لفجيعة ما؛ نظراً إلى أنَّ الأخذ بأطراف الأحاديث بين الأحبة يؤدي فعلاً يضارع جيئة المجاديف وذهابها، فيصل بهم في نهاية المطاف إلى بر الارتياح، وليس هذا وحسب وإنَّما قد يروم الشاعر اتخاذ المرأة معادلاً موضوعياً لِلُّوَّمِ الذين يريغون إلى حضه على الاستنكاف مِنْ قضية أو

شعور لا يحيد عنه، صانعاً صنيعَ الشريف الرضي الذي ضرب صفحاً عمَّا قالته، مؤكداً استحباب الارتماء في عُبَاب الجوى يومَ العاشر من شهر محرم، وَلَا بِدْعَ في "أنْ يتأثر الشريف بتلك المآتم الرائعة والمواكب الصاخبة التي كانت تقام في يوم عاشوراء، اليوم الذي صرع فيه جده الحسين ولقد شهدها منذ الحداثة، وسمع ما قيل فيها من قصص، وما أنشد فيها من شعر حزين يرتله النائحون والنائحات، فكان لذلك أبلغ الأثر في نفسه والأسى يبعث الأسى، والذكرى تثير الشجون، كما يقول القدماء، وإذن فلا عجب، إذا صور الشريف مأساة جده وما أصاب أهله فأجاد التصوير"، (الزهيري، ١٩٤٩م، ١٨٠) تطلعاً إلى ترسيخ محبة جده في الأفئدة وتأليب الناس على أعدائه وأعداء رسول الله(ص) (ابن ماجه، (د.ت)، ١/ ٥٢) وتسويغ سخطه على زمنٍ دِيْسَ فيه صدرُ أحلامه باحتياز السلطة المنشودة _ التي يعدها حقاً مسلوباً_، على غرار جَوَلان خيول الطغاة على جسد الحسين.

وأغلب الظن أنَّ عدم ذكره لحسن بلاء جده عندما ألقى بنفسه في لهوات الحرب وأردى بسيفه غُلب الرجال (ابن حبان، ١٩٧٣م، ٢/ ٣٠٩_ ٣١١)؛ متأتٍ مِنْ قيام هزيمته مقام النصر، فهو غالب شامخ على الرغم مِنْ تعذّر اجتلاب بغيته بالساعد الأشد وَ وُرُوده حياضَ الردى دونَها، فضلاً عن أنَّ الماء الذي حُرِمَ منه ما فَتِئَ يسقي ذاكرة أبنائه ومحبيه، كلما شارفت زهور ذكراه العطرة على الذبول، مما يأخذ بأضباعهم إلى خوض غمار القضية الحسينية؛ إذ "إنَّ الكلام أو حتى الكتابة عن الخبرات الصدمية التي تم قمعها يساعد على التقليل مِنَ الأعراض المتبقية للقلق والتوتر"، (عبد الخالق، ٢٠٠٦م، ٢٢٠) كما أنَّ استنفاد ما في جَعْبَةِ الجَّنَان مِنْ حُرقَة ولَوْعَة، بوساطة فعل الشاعر ما بوسعه وبذل قصارى جهده؛ يُشعره برضى المرثي عنه ورضاه عن نفسه، لأمد قد يدوم وقد لا يتعدى كتابة القصيدة؛ ولِذا أوجز الرضيُّ القول فيما آل إليه حال جده غِبَّ استشهاده، مشيراً إلى إجلال السباع شأنه وعدم دنوها منه، في الحين الذي أكل فيه أبناءُ جلدته لحْمَهُ بسيوفهم واهتضموا حقه، وخلَّفوه طريحَ الأرض ثلاثة أيام دونَ أنْ يحظى بغسل وتكفين، فيممته الريحُ بما ألقت عليه مِنْ تراب، وكفنه دمُهُ الطاهر.

لا مناص لنا مِنَ الإقرار بأنَّ للزمن اليد الطولى في جعل ناصية الذاكرة بيد النسيان، وتذليل شامسها وآبيها، بيد أنَّ هناك مِنَ الأبطال مَنْ لم ينخرطوا في سلك هذه المسلمات المُطَّرِدَة، وإنَّما ظلّوا متكئين على أرائك عروش الذكريات خالدين فيها، وتبعاً لذلك ستقيم القلوب عند تذكرهم مآتماً بين الجوانح، وكأنَّ مصاب فقدهم الجلل

حدث للتَّو، فترسم آذان الأبناء الواعية أيام أجداهم ومآثرهم ومآسيهم، بما يشاكل انتساخ الرسام الحاذِق لصورة وضعها نصب عينيه؛ فتجيش الهمومُ في صدورهم التي تغلي غليَ المرجل، مما يدفع بحصفاء شعرائهم إلى ندب آبائهم أسوة بالرضي وهو يرثي جده الحسين قائلاً: (حلاوي، ١٩٩٩م،٢/ ١٦٤) (من الخفيف)

أَيُّ يَـــوْمٍ أَدْمَـــى المَـــدَامِعَ فِيـــهِ ... حَـــادِثٌ رَائِـــعٌ وَخَطْـــبٌ جَلِيـــلُ

يَـــوْمُ عَاشُـــورَاءَ الَّـــذِي لَا أَعَـــانَ الـــ ... صَّـــحْبُ فِيـــهِ وَلَا أَجَـــارَ القَبِيـــلُ

أَتُرَانِـــي أُعِيـــرُ وَجْهِـــيَ صَـــوْناً ... وَعَلَـــى وَجْهِـــهِ تَجُـــولُ الخُيُـــولُ

أَتُرَانِـــي أَلَـــذُّ مَـــاءً وَلَمَّـــا ... يَـــرْوَ مِـــنْ مُهْجَـــةِ الإِمَـــامِ الغَلِيـــلُ

قَبَّلَتْـــهُ الرِّمَـــاحُ وَانْتَضَـــلَتْ فِيـــ ... ـــهِ المَنَايَـــا وَعَانَقَتْـــهُ النُّصُـــولُ

وَالسَّـــبَايَا عَلَـــى النَّجَائِـــبِ تُسْـــتَا ... قُ، وَقَـــدْ نَالَـــتِ الجُيُـــوبَ الـــذُّيُولُ

مِـــنْ قُلُـــوبٍ يَـــدْمَى بِهَـــا نَـــاظِرُ الوَجْـــ ... ـــدِ وَمِـــنْ أَدْمُـــعٍ مَرَاهَـــا الهُمُـــولُ

قَـــدْ سَـــلَبْنَ القِنَـــاعَ عَـــنْ كُـــلِّ وَجْـــهٍ ... فِيـــهِ لِلصَّـــوْنِ مِـــنْ قِنَـــاعٍ بَـــدِيلُ

وَتَنَقَّـــبَنَ بِالأَنَامِـــلِ وَالدَّمْـــ ... ـــعُ عَلَـــى كُـــلِّ ذِي نِقَـــابٍ دَلِيـــلُ

وَتَشَـــاكَيْنَ وَالشُّـــكَاةُ بُكَـــاءٌ ... وَتَنَـــادَيْنَ وَالنِّـــدَاءُ عَوِيـــلُ

عندما يُعزى الإنسان إلى جدٍ هُمَام سامي الرُّتبة بعيد الصِّيت؛ يتخذه قدوة له وحذو حذوه رامياً إلى تجسيد شخصيته _ بغض النظر عن طول المدة الفاصلة بينهما_؛ ليبرهن على عدم انكساف شمس حميد خِلاله وإثمار زرعه المتمثل بأبنائه وأحفاده، ويستمطر تقريظ الأنام وترحمهم على جده.

ومِنَ المؤكد أنَّ انمياز المرء بيُمْنِ النقيبة واستطارة الشهرة ودماثة الأخلاق؛ يؤدي إلى توقع الأذهان التي تلقَّفت أخباره، أنْ يتحفها السارد بنهاية مُغبِطة لحياته، تكون مسك ختام لسامق سيرته التي قصها عليهم، إلَّا أنَّ حدوث ما يتنافى وَآفاق توقعاتهم؛ سيُلقي بطيور سعادتهم التي التقطت ما نُثِر لها مِنْ حَبِّ الأحاديث، فيما نُصِبَ تحتها مِنْ شباك القنوط والشجو، بما يتماشى مع الذي رِيعَ به الشريف الرضي مِنْ صدماتٍ حال سماعه ما نزل

بآل بيت رسول الله مِنْ مِحن ومعاطب، في يوم عاشوراء وما بعده، فحاك شعراً يعرب عن بواعث زفراته وأنينه، و "نحن إذ نقرأ هذا الشعر تتجسم أمامنا صورة الشاعر فنراه وهو يصور أحزانه، كيف تهيجه الذكرى المؤلمة؛ فتثور نفسه، ويختلج قلبه وتضطرب أوصاله، فإذا عواطفه تتدفق كالسيل الأتي ينحدر من سفوح الجبال، أو كالجلمود حطه السيل من عل، وإذا هو يرسل الشعر قوياً عنيفاً زاخراً بالعواطف الجامحة والمعاني القوية ونراه أيضاً، وقد وهنت أعصابه وتخاذلت أوصاله، وأخذ منه الجهد كل مأخذ، يئن أنين الثكلى أضناها الندب والنواح، فيرسل الشعر وانياً، رفيقاً، ممزوجاً بلحن كئيب، كألحان المفجوعين" (الزهيري، ١٩٤٩م، ١٨٠_ ١٨١)؛ نتيجةً لسحق الخيول وجه جده المُنيف الذي يستأهل التقبيل وخشوع العيون أمام جلالته، وإيقار مهابته في الصدور، بدلاً مِنْ تهشيم الحوافر ضلوعه، وكأنَّنا بالرضي قد تمنى تقبيل الأسل ومعانقة الظبى إياه؛ فداءً للحسين، ومِنْ ثَمَّ يكب مقبلاً ليديه وجبينه؛ مواساةً وتهويناً لِما نابَهُ وإخوانه ونسوتهم مِنْ مُلِمَّات قاصمات.

ولا جَرَمَ أنَّ قيام قيامة الأتراح يحدو بنا إلى انتهاج ما اعتدناه مِنْ سلوك فكري وفعلي أسلمانا إلى ما يُطامن مِنْ سَوْرَة ابتئاسنا؛ لأنَّ "أي سلوك يأتي به الإنسان إنَّما يهدف إلى إشباع حاجة أو أكثر في إطار هذه الحاجات، وبالتالي فإنَّها هي الموجهة للسلوك، وهي جزء جوهري من ذات الإنسان، إنَّها جزء، لكن ليس كأي جزء، فعلى الرغم مِنْ أنَّها ليست شيئاً مادياً يُمسك، إلَّا أنَّها هي القوة الهادرة التي تدفع إلى السلوك"، (دويدار، ٢٠٠١م، ٦٤) وهي التي حضَّتْ شاعرَنا على تبيان ما أصاب نساء جدِّهِ ورهطِهِ _ المسبيات_ مِنْ رزايا يتصدع لها قلب الكريم الحُر تأسفاً؛ تطلعاً إلى استنصار الغيارى وتبيان فداحة هذهِ الأفاعيل التي يندى لها جبين الإنسانية والإسلام؛ إذ إنَّ الناس يستنكرون ما يثير حفيظتهم، فيحدِّثون الآخرين به، مما يجعل قصيدة الرضي دوحة عظيمة ذات أفنان ممتدة تزداد عدداً كلما استمع إليها أو قرأها إنسانٌ سَرِيُّ الأخلاق لأول وهلة.

ينماز المناجيب المتطيرون الشهرة باحتياز قصب السبق مِنَ الإطراء والإكبار في حياتهم، ونيل الحظ الأوفر مِنَ الندب والرثاء غِبَّ مماتهم، وبالنتيجة سيتحتم على أبنائهم التنويه بهم، وذرف شآبيب الدمع السخين جرَّاء ما نزل بهم مِنْ مُلمّات؛ تطلعاً إلى انتياش ذكرهم مِنْ بحر النسيان، والأخذ بأضباعهم إلى قُلل الذاكرة،

بوساطة حديث بلغائهم وقصائد شعرائهم، على غرار رثاء الشريف المرتضى حين مؤبنا شهداء كربلاء: (التونجي، ١٩٩٧م، ٣/ ٣٦٤_ ٣٦٧) (مِنَ السريع)

فَاسْمَعْ زَفِيرِي عِنْدَ ذِكْرِ الأُلَى ... بِالطَّفِّ بَيْنَ الذِّئبِ وَالقَشْعَمِ

طَرْحَى فإِمَّا مُقْعَصٌ بالقَنَا ... أَوْ سَائِلُ النَّفْسِ عَلَى مِخْذَمِ

نَثْرٌ كَدُرٍّ بَدَدٍ مُهْمَلٌ ... لِغَفْلَةِ السِّلْكِ فَلَمْ يُنْظَمِ

كَأَنَّمَا الغَبْرَاءُ مَرْمِيَّةٌ ... مِنْ قِبَلِ الخَضْرَاءِ بالأَنْجُمِ

دُعُوا فَجَاؤوا كَرَماً مِنْهُمُ ... كَمْ غَرَّ قَوْماً قَسَمُ المُقْسِمِ

حَتَّى رَأَوْهَا أُخْرَيَاتِ الدُّجَى ... طَوَالِعاً مِنْ رَهَجٍ أَقْتَمِ

كَأَنَّهُمْ بالصُّرِّمِ مَطْرُورَةٌ ... لِمُنْجِدِ الأَرْضِ عَلَى مُثْهِمِ

وَفَوْقَهَا كُلُّ مَغِيظِ الحَشَا ... مُكْتَحِلِ الطَّرْفِ بِلَوْنِ الدَّمِ

...

وَاللهِ لَا أُخْلِيتُ مِنْ ذِكْرِكُمْ ... نَظْمِي وَنَثْرِي وَمَرَامِي فَمِي

كَلَّا وَلَا أَغْبَيْتُ أَعْدَاءَكُمْ ... مِنْ كَلِمِي طَوْراً وَمِنْ أَسْهُمِي

عندما يشف الجوى خافق المرء يركن إلى التأسف والتفجع بائحاً بما اكتن في صدره مِنْ حَزَازَة مبيناً بواعث أساه كما أتاه حديثُها؛ فمِنَ الصعوبة بمكان انتقاء عذب الألفاظ وبهيج الأوصاف في معرض الابتئاس والقنوط، بيد أنَّ الإنسان قد يعمل على تحسين ما قبَّحته يد الأيام، مِنْ خلال توشيح صدر المأساة بوسام الفنون البيانية، مثل مَنْ يرسم شخصاً عارياً ومِنْ ثَمَّ تكسوه ريشتُهُ ببهي الثياب، وليس بمستغرب قط أنْ يصنع المثكول هذا الصنيع؛ فـ "ماذا يصنع الشاعر إذن وليس أمامه غير الخيبة؟ يلجأ إلى خلق عالم آخر، يبني بيوتاً أخرى، ويسلك دروباً ثانية"، (أدونيس، ١٩٧٩م، ٥٩) كالتي يسلكها مَنْ هَدَّهُ انقضاء أجل عزيز؛ فانتابته صدمة قاصمة

جعلته بين عالمي الأموات والأحياء، محدثاً خليله _ الذي وافته المنية_ بأسلوب يضارع كلامه وَمَنْ هم على قيد الحياة، فيضاحكهم أحياناً ويباكيهم أُخَر.

ولعل مِنَ البديهي أنْ نقول: إنَّ الشريف المرتضى شرع في تبيان الأسباب الاستراتيجية للهزيمة _ التي لم تتعدَّ ساحة الوغى_ المتأتية مِنْ مبايعات مكذوبة تَزَيَّت بلباس المؤازرة والولاء لابن بنت نبي الله (ص)، ساترة به جسد الخديعة والمداهنة، الذي عرَّته سيوفهم الغادرة، مفصحةً عن خبث نواياهم، وتبعاً لذلك أضحى حال الحسين مشاكِلاً لِمَنْ رامَ الارتواء مِنْ نهر فانهدم به جرفه الهاري، والتقمه فمُ الماء؛ مما أذكى أوار أسى الشريف المرتضى وشديد وجده، وقض مضاجع ثلة لا يستهان بها مِنْ شيعة جده ومحبيه؛ نظراً إلى "أنَّ الضغط الصدمي يؤثر على الكائن الحي في أربعة مستويات هي: ثقافي واجتماعي وشخصي ونفسي فسلجي؛ لذا فإن أعراض الضغط الصدمي لا تنحصر في البرنامج العصبي على المستوى الشخصي، بل يمتد إلى الإطار الثقافي والاجتماعي للمجتمع إلى حد كبير"، (البدران، ٢٠١٧م، ٣٣) وهذا الامتداد يُعلي محل بعض الشخصيات التاريخية، ويجلسهم على دست التبجيل والتفخيم، إنْ استطاعوا إثارة عواطف الناس واكتساب موداتهم؛ ولِذا أَطَّدَ الشريف الرضي دعائم تأبين الحسين، ورنا إلى أنْ يكمم بسلطان شعر الأفواه التي تحاول الإقلال مِنْ شأن انتصار جده _ المعنوي_، ومنزلة خوض عُبَاب بحر الشعر الزاخر بتأبين سبط رسول الله (ص) وأصحابه وإكبارهم؛ لأنَّ المعارك الكلامية عادة ما تكون أطول عمراً مِنَ الحروب الفعلية؛ نتيجة للأهمية البالغة وعظيم الفعل الذي تؤديه النصوص الشعرية والتاريخية في بلورة الأفكار والتحكم بوعي البشرية الجمعي.

الخاتمة

بَيَّنَ البحثُ عظيمَ تأثير ما نتسمع له من أحاديث وأخبار صادمة تبقى عالقة في الأذهان وتشغل الألباب؛ مما يحدو بالإنسان المصدوم إلى الإعراب عما نابه من ألم مُمِض جرّاءَ سماعه ما يؤرّق الفؤاد ويمحق السرور والارتياح، وهذا الأمر يحض الشعراء على نظم قصائد تُقَصِّل القول فيما وصل إليهم من قصص وأخبار قضَّت مضاجعهم وقرَّحَت أجفانهم؛ فرغبوا في نصرة المظلوم بألسنتهم بعد أنْ تعذر عليهم الذود عنه بأسِنَّتِهم وسيوفهم، فضلاً عن أنَّ البحث أعرب عن حقيقة مفادها أنَّ الذكريات _ في الأغلب_ تمثل جزءا لا يتجزأ من حياة الإنسان

يـزوره كطيـف الخيـال بـين الحـين والحـين فيحيـي مـا قـرع مسـامعه فيمـا سـبق ويأخـذ بضـبعه إلـى التعبيـر عـن مشـاعره وأحاسيسه بكل ما أوتي من إمكانات فنية وأدبية.

المصادر والمراجع

- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبـي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن، تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، ط١، شركة دار الأرقم بن أبـي الأرقم، بيروت_لبنان، ١٩٩٧م.
- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي، الثقات، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، ط١، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ١٩٧٣م.
- ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان، ١٩٩٠م.
- ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبـي جرادة العقيلي، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر، (د. ت).
- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي، (د. ت).
- أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد، مقاتل الطالبيين، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت_ لبنان، (د. ت).
- أبو حاتم، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، تحقيق: الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، ط٣، الكتب الثقافية، بيروت_ لبنان، ١٤١٧هـ.

• أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة_ مصر، (د. ت).

• أبو القاسم الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة_ مصر، (د. ت).

• أبو العرب، محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي، المحن، تحقيق: د. عمر سليمان العقيلي، ط١، دار العلوم، الرياض_ السعودية، ١٩٨٤م.

• أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى التميمي، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، ط١، دار المأمون للتراث، دمشق سوريا، ١٩٨٤م.

• أدونيس، علي أحمد سعيد، مقدمة للشعر العربي، ط٣، دار العودة، بيروت_ لبنان، ١٩٧٩م .

• البدران، د.عبد السجاد عبد السادة، الصدمة النفسية واضطراباتها بعد الحرب وعلاقتها بالتفكير التجريدي ، دار الفيحاء للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق_ سوريا، ٢٠١٧م.

• الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، دار المعارف، القاهرة_ مصر، (د. ت).

• حامد، أميمة إسماعيل، اضطراب ما بعد الصدمة، رسالة ماجستير، جامعة الرباط الوطني_ كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، ٢٠١٦م.

• حسن دواس، المعادل الموضوعي في النقد الإنجلو _ أمريكي الحديث دراسة في المصطلح والمفهوم، مجلة الأثر ، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة_ الجزائر ،ع ٢٦، ٢٠١٦م.

• ريجنالد وايلد، دونالد ليارد، الموسوعة النفسية، ط٤، دار إحياء العلوم، بيروت _ لبنان، ١٩٨٧م .

• الزركلي، خير الدين بن محمود، الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت_ لبنان، ٢٠٠٢م.

• الزهيري، محمود غناوي، الأدب في ظل بني بويه، مطبعة الأمانة ، مصر_ شارع الفجالة، ١٩٤٩م .

• الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى، ديوان شعر ابن المعتز صنعة أبي بكر محمد بن يحيى الصولي، تحقيق: د. يونس أحمد السامرائي، ط١،عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت_ لبنان، ١٩٩٧م.

• ضياء حسين الأعلمي، ديوان دعبِل الخزاعي، ط١، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت_ لبنان، ١٩٩٧م.

• عبد الخالق، د. أحمد محمد، الصدمة النفسية ، ط٢، دار اقرأ الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة_ مصر، ٢٠٠٦م.

• عبد الفتاح دويدار، حسن الصديق، نحو استراتيجية عربية لمواجهة الصدمات والكوارث دراسة مقارنة بين النموذجين اللبناني والكويتي ، ط١، مركز الدراسات النفسية والنفسية_ الجسدية، طرابلس_ لبنان، ٢٠٠١م.

• عدنان حب الله، الصدمة النفسية أشكالها العيادية وأبعادها الوجودية، ترجمة: علي محمود مقلد، ط١، دار الفارابي، بيروت_ لبنان، ٢٠٠٦م.

• العقاد، عباس محمود، أبو الشهداء الحسين بن علي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة_ مصر، ٢٠١٣م.

• المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، التنبيه والإشراف، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة_ مصر، (د. ت).

• المعموري، أحمد كاظم جواد تايه، رؤية المستشرق بروكلمان لثورة الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) في كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة بابل_ كلية التربية للعلوم الإنسانية، المجلد١، العدد ١٦، ٣٠/ ٦/ ٢٠١٣م.

• محمد التونجي، ديوان الشريف المرتضى، ط١، دار الجيل، بيروت_لبنان، ١٩٩٧م.

• محمد قاسم عبد الله، سيكولوجية الذاكرة (قضايا واتجاهات حديثة)، عالم المعرفة_ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مطابع السياسة، ع ٢٩٠، الكويت، ٢/ ٢٠٠٣م.

• محمود مصطفى حَلاوي، ديوان الشريف الرضي، ط١، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت _ لبنان، ١٩٩٩م .

• مظهر الحجي، ديوان ديك الجن الحمصي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق_ سوريا، ٢٠٠٤م.

المصادر الأجنبية

• Caruth, Cathy, Introduction, Trauma: Explorations in Memory,

Baltimore: Johns Hopkins UP, 3-12, Print, 1995.

Sources and references:

- Abdel Khaleq, Dr. Ahmed Muhammed, Psychological Trauma, 2nd Edition, Iqra International Publishing House Distribution, Cairo - Egypt, 2006.
- Abdel-Fattah Dowidar, Hassan Siddik, Towards an Arab strategy to confront shocks and disasters (a comparative study between the Lebanese and Kuwaiti models), 1st edition, Center for Psychological and Psychological Studies, Laban-Al-Jasab 2001.
- Abu Al-Arab, Muhammad bin Ahmed bin Tamim Al-Tamimi, the Moroccan and African, ordeals, investigated by: Dr. Omar Suleiman Al-Aqili, i 1, Dar Al-Uloom, Riyadh - Saudi Arabia, 1984 AD.
- Abu Al-Faraj Al-Isfahani, Ali bin Al-Hussein bin Muhammad bin Ahmed, Muqatil Al-Talibeen, Edited by: Mr. Ahmed Saqr, Dar Al-Maarifa, Beirut_Lebanon.

- Abu Al-Qasim Al-Tabarani, Suleiman bin Ahmed bin Ayyub bin Mutir Al-Lakhmi, Al-Awsat Dictionary, Edited by: Tariq bin Awad Allah bin Muhammad, Abdul Mohsin bin Ibrahim Al-Husseini, Cairo - Dar Al-Haram.
- Abu al-Qasim al-Tabarani, The Great Dictionary, Investigated by: Hamdi bin Abd al-Majid al-Salafi, second edition, Ibn Taymiyyah Library, Cairo - Egypt.
- Abu Hatim, Muhammad bin Habban bin Ahmad bin Habban bin Muadh, The Biography of the Prophet and the News of the Caliphs, investigation: Hafiz Sayyid Aziz Bey and a group of scholars, 3rd Edition, Cultural Books, Beirut_Lebanon, 1417 H.
- Abu Ya'la, Ahmed bin Ali bin Al-Muthanna bin Yahya Al-Tamimi, Musnad Abi Ya'la, investigative: Hussein Salim Asad, 1st Edition, Dar Al-Mamoun Heritage, Damascus, Syria, 1984.
- Adnan Hoballah, Psychological Trauma, its Clinical Forms and Existential Dimensions, translated by: Ali Mahmoud Makled, first edition, Dar Al-Farabi, Beirut_Lebanon, 2006 AD.
- Adonis, Ali Ahmad Saeed, Introduction to Arabic Poetry, 3rd Edition, Dar Al-Awda, Beirut - Lebanon, 1979.
- Al-Akkad, Abbas Mahmoud, Abu Al-Shuhada Al-Hussein Bin Ali, Hindawi Foundation for Education and Culture, Cairo - Egypt, 2013.
- Al-Badran, Dr. Abdul-Sajjad Abdul-Sada, Psychological Trauma and its Disorders after the War and its Relationship to Abstract Thinking, Dar Al-Fayhaa for Printing, Publishing and Distribution, Damascus - Syria, 2017.
- Al-Maamouri, Ahmed Kazem Jawad Tayeh, Orientalist Brockelman's vision of the revolution of Hussein bin Ali bin Abi Talib (peace be upon them) in his book, The History of the Islamic

Peoples, Journal of Human Sciences, University of Babylon_ Faculty of Education of Human Sciences, Volume 1, Issue 16, 30/6/2013.

- Al-Masoudi, Abu Al-Hassan Ali Bin Al-Hussein Bin Ali, Al-Nabih and Supervision, Editing: Abdullah Ismail Al-Sawy, Dar Al-Sawy, Cairo - Egypt.
- Al-Sawli, Abu Bakr Muhammad bin Yahya, Diwan of Ibn Al-Moataz's poetry, work by Abu Bakr Muhammad bin Yahya Al-Sawli, investigation: Dr. Younes Ahmed Al-Samarrai, 1st Edition, The World of Books for Printing, Publishing and Distribution, Beirut - Lebanon, 1997 AD.
- Al-Thalabi, Abdul-Malik bin Muhammad bin Ismail, Thimar Al-Quloub fi Al-Madhaf and Al-Mansoub, Dar Al-Maaref, Cairo, Egypt.
- Al-Zarkali, Khair Al-Din Bin Mahmoud, Al-Alam, 15th Edition, Dar Al-Ilm for Millions, Beirut - Lebanon, 2002 AD.
- Al-Zuhairi, Mahmoud Ghannawi, Literature in the Shadow of Bani Buyah, Al-Amanah Press, Egypt - Faggala Street, 1949.
- Caruth, Cathy, Introduction, Trauma: Explorations in Memory, Baltimore: Johns Hopkins UP, 3-12, Print, 1995.
- Diaa Hussein Al-Alamy, Diwan Dabel Al-Khuzai, 1st Edition, Al-Nour Institution for Publications, Beirut - Lebanon, 1997.
- Hamed, Omaima Ismail, Post-Traumatic Stress Disorder, Master's Thesis, National Ribat University-Faculty of Graduate Studies and Scientific Research, 2016.
- Hassan Dawas, The Objective Equivalent of Anglo-American Modern Criticism, A Study in Terminology and Concept, Al-Athar Journal, Al-Akhwa Mentouri University Constantine_Algeria, Vol. 26, 2016.

- Ibn Al-Adim, Omar bin Ahmed bin Hebat Allah bin Abi Jarada Al-Aqili, for the purpose of requesting the history of Aleppo, investigation: Dr. Sohail Zakkar, Dar Al-Fikr.
- Ibn al-Athir, Izz al-Din Abu al-Hassan Ali Ibn Abi al-Karam Muhammad Ibn Muhammad Ibn Abd al-Karim al-Jazari, The Lion of the Forest in the Knowledge of the Companions, Investigated by: Ali Muhammad Mouawad, Adel Ahmed Abdul-Qadi, 1rd Edition, Dar al-Kutb al-Alamy, 1994.
- Ibn al-Jawzi, Jamal al-Din Abi al-Faraj Abdul Rahman, Immunization of the concepts of the people of influence in the eyes of history and biography, 1st Edition, Dar Al-Arqam Ibn Abi Al-Arqam Company, Beirut_Lebanon, 1997 AD.
- Ibn Habban, Muhammad Ibn Habban Ibn Ahmad Ibn Habban Ibn Muadh Ibn Ma`bad al-Tamimi, trustworthy ones, investigation: Dr. Muhammad Abdul-Maid Khan, 1st Edition, Ottoman Encyclopedia of Hyderabad, Deccan, India, 1973 AD.
- Ibn Majah, Abu Abdullah Muhammad Ibn Yazid al-Qazwini, Sunan Ibn Majah, Edited by: Muhammad Fouad Abd al-Baqi, House of Revival of Arabic Books - Faisal Issa al-Babi al-Halabi.
- Ibn Saad, Abu Abdullah Muhammad bin Saad bin Mani` Al-Hashimi with loyalty, the major classes, investigative: Muhammad Abdul-Qadir Atta, 1st edition, Dar Al-Kutub Al-Scientific, Beirut_Lebanon, 1990 AD.
- Mahmoud Mustafa Halawi, Diwan Al-Sharif Al-Radi, 1st Edition, Dar Al-Arqam Ibn Abi Al-Arqam for printing, publishing and distribution, Beirut - Lebanon, 1999 AD.
- Mudhir Al-Hajji, Diwan dik Al-Jin Al-Homsi, Publications of the Arab Writers Union, Damascus - Syria, 2004 AD.

- Muhammad Al-Tunji, Diwan Al-Sharif Al-Murtada, 1st edition, Dar Al-Jeel, Beirut_Lebanon, 1997.
- Muhammad Qassem Abdullah, The Psychology of Memory (Modern Issues and Trends), The World of Knowledge - The National Council for Culture, Arts and Letters, Al-Seyassah Press, No. 290, Kuwait, 2/2003.
- Reginald Wild, Donald Liard, Psychological Encyclopedia, 4th Edition, Dar Ihya Al-Ulum, Beirut - Lebanon, 1987.